[التَّحْذِيرُ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ فِي الدِّينِ وَالنَّفْسِ]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَشَرَعَ فِيهِ مَا يَحْفَظُ مَصَالِحَ الْأَنَامِ؛ فِي الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعِرْضِ وَالْعَقْلِ وَالْمَالِ، وَمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الْخَمْسُ مِنْ مُقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ فِي الْحَالِ وَالْمَآلِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اَلصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ بِدَوَامِ مُلْكِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ.

إِنَّ مِمَّا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ، وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الِاجْتِهَادَاتُ الْبَشَرِيَّةُ؛ هُوَ: وُجُوبَ حِفْظِ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالْعِرْضِ وَالْمَالِ؛ بِاعْتِبَارِهَا مُقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ الْعَيْشُ بِدُونِهَا؛ وَلِذَلِكَ اعْتَبَرَهَا عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ – بَعْدَ اسْتِقْرَاءِ نُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَتَتَبُّعِهَا – مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ الْوَاجِبِ حِفْظُهَا، وَالْوَاجِبِ تَجَنُّبُ الْآفَاتِ الْمُهْلِكَاتِ فِيهَا؛ وَبَيَانُ ذَلِكَ مَا يَلِي:

أَوَّلًا: وُجُوبُ حِفْظِ الدِّينِ؛ وَذَلِكَ بِامْتِثَالِ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابِ النَّهْـــيِ، وَاجْتِنَابِ الْآفَاتِ الْمُهْلِكَةِ فِيهِ؛ وَالدِّينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ تَكَفَّلَ بِحِفْظِهِ وَكَمَالِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى التَّدَيُّنِ وَفْقَ مَنْهَجِهِ وَشَرِيعَتِهِ؛ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْمُعَامَلَةِ وَالسُّلُوكِ، وَجَمِيعِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ؛ فَهُوَ يَشْمَلُ حَرَكَاتِ النَّاسِ وَأَنَفَاسَهُمْ وَمَشَاعِرَهُمْ وَخَوَاطِرَهُمْ؛ وَهُمْ مَجْزِيُّونَ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

وَأَخْطَرُ الْآفَاتِ الْمُهْلِكَةِ لِلدِّينِ: مُخَالَفَةُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؛ وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَنَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ؛ فَالْمَعَاصِي مِنْ مُهْلِكَاتِ الدِّينِ وَمُفْسِدَاتِهِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ: (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: اَلْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ؛ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُواْ، وَلَا تُؤْمِنُواْ حَتَّى تَحَابُّواْ، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُواْ السَّلَامَ بَيْنَكُمْ). فَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ صَرِيحٌ بِأَنَّ مِنْ مُهْلِكَاتِ الدِّينِ: اَلْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ؛ كَالْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الدِّينَ لَيْسَ مَحْصُورًا فِي شَعَائِرَ نَقُومُ بِهَا بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى، وَإِنَّمَا هُوَ حَيَاتُنَا بِكُلِّ مَا فِيهَا، وَعَلَاقَاتُنَا بِاخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا؛ فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ وَفْقَ مَنْهَجِ الْإِسْلَامِ.

وَمَنَ الْآفَاتِ الْخَطِيرَةِ الْـمُفْسِدَاتِ لِلدِّينِ: اَلْغُلُوُّ فِيهِ وَاتِّبَاعُ الْأَهْوَاءِ، وَالزَّيْغُ عَنْ مِنْهَاجِهِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ؛ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْـمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ).

وَلِذَا يَجِبُ عَلَى الْـمُسْلِمِ اِجْتِنَابُ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ؛ لِيَسْلَمَ لَهُ دِينُهُ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ: (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْـمَرْءِ بِنَفْسِهِ. وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ).

ثَانِيًا: وُجُوبُ تَجَنُّبِ الْآفَاتِ الْـمُهْلِكَةِ فِي النَّفْسِ؛ وَالنَّفْسُ تَشْمَلُ النَّفْسَ الْـمَعْنَوِيَّةَ وَتَشْمَلُ الْبَدَنَ كَذَلِكَ؛ فَالنَّفْسُ الْـمَعْنَوِيَّةُ هِيَ الْإِنْسَانُ حَقِيقَةً، وَأَخْطَرُ الْآفَاتِ الْـمُهْلِكَةِ لَهَا: اِتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ؛ وَتَجَنُّبُهَا يَكُونُ بِالتَّزْكِيَةِ وَالتَّرْبِيَةِ عَلَى الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ وَاتِّبَاعِ سَبِيلِهِ، وَتِلْكَ رِسَالَةُ الْإِنْسَانِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ؛ تَرْوِيضُ النَّفْسِ عَلَى الْخَيْرِ، وَتَجْنِيبُهَا الْـمَهَالِكَ؛ بِالْـمُجَاهَدَةِ وَالْـمُرَاقَبَةِ الدَّائِمَةِ؛ كَمَا قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَـمِينَ﴾. وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْبُوصِيرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ.

كَمَا يَجِبُ حِفْظُ النَّفْسِ مِنَ الْـمَشَاعِرِ السَّيِّئَةِ وَالْخَوَاطِرِ الْقَبِيحَةِ؛ كَسُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى، وَوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، وَازْدِرَاءِ الْآخَرِينَ وَتَحْقِيرِهِمْ، وَإِسَاءَةِ الظَّنِّ بِهِمْ؛ فَهِـــيَ مِنْ مُهْلِكَاتِ النَّفْسِ وَمُوبِقَاتِهَا الْكُبْرَى؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْـمُسْلِمَ). وَمِنْ نَظْمِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ:صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَاتَعِشْ سَالِـمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ.

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِقُرْآنِهِ الْـمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَارِئِ النَّسَمِ، وَمَوْلَى النِّعَمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ، وَمَلَاذِ الْأَنَامِ يَوْمَ الْـمَحْشَرِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

عِبَادَ اللهِ؛ أَمَّا النَّفْسُ الْـمَادِّيَّةُ الَّتِي هِيَ الْبَدَنُ فَهِـيَ أَيْضًا مِمَّا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ الْحِرْصُ عَلَى حِفْظِهَا وَتَجْنِيبِهَا الْآفَاتِ الْـمُهْلِكَةِ لَهَا؛ أَمَّا حِفْظُهَا فَيَكُونُ بِالْـمُحَافَظَةِ عَلَى سَلَامَتِهَا مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَحِفْظِهَا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ عَلَى سَبِيلِ الِامْتِنَانِ: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾، وَيَكُونُ بِتَغْذِيَتِهَا تَغْذِيَةً مُتَوَازِنَةً؛ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ، وَذَلِكَ بِأَكْلِ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي

أَبَاحَهَا اللهُ تَعَالَى؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

وَأَخْطَرُ الْـمُهْلِكَاتِ لِلنَّفْسِ: اَلِاعْتِدَاءُ عَلَيْهَا بِالْقَتْلِ أَوْ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْإِذَايَةِ؛ وَقَدِ اِعْتَبَرَتِ الشَّرِيعَةُ قَتْلَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ كَقَتْلِ النَّاسِ جَمِيعًا؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وَمَنْ مُهْلِكَاتِهَا كَذَلِكَ: أَكْلُ الْـمُحَرَّمَاتِ الَّتِي تَنْخُرُ جِسْمَ الْإِنْسَانِ فَتُرْدِيهِ، وَيَنْسَحِبُ هَذَا الْحُكْمُ عَلَى كُلِّ مَا يَضُرُّ بِالْإِنْسَانِ مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي يُدْخِلُهَا عَلَى جِسْمِهِ فَتُهْلِكُهُ؛ كَمَا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

عِبَادَ اللهِ؛ اَلْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الِاتِّبَاعِ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ فِي الْـمُخَالَفَةِ وَالِابْتِدَاعِ؛ فَاتِّبَاعُ تَعَالِيمِ دِينِنَا الْحَنِيفِ، يُجَنِّبُنَا كَثِيرًا مِنَ الْآفَاتِ الْـمُهْلِكَةِ فِي الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْـمُجْتَمَعِ، وَيُوَفِّرُ عَلَيْنَا كُلَفاً مَادِّيَّةً نَصْرِفُهَا فِي أُمُورٍ نَحْنُ فِي غِنًى عَنْهَا، فَنَعِيشُ بِذَلِكَ حَيَاةً طَيِّبَةً كَمَا وَعَدَنَا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ.

هَذَا؛ وَصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ عَلَى الْـمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَـمِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ؛ فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَدَدَ خَلْقِكَ، وَرِضَى نَفْسِكَ وَزِنَةَ عَرْشِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَـمِين، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ بِنَصْرِكَ الْـمُبِينِ، مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ، وَلِيَّ أَمْرِنا خَادمَ الحَرَمَينِ الشَرِيفَينِ نَصْرًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْـمُسْلِمِينَ، وَاحْفَظْهُ اللَّهُمَّ فِي كَنَفِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَاحْرُسْهُ بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، مَوْفُورَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، قَرِيرَ الْعَيْنِ بِوَلِيِّ عَهْدِهِ، اَللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا أَنْفُسَنَا فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَأَصْلِحْ لَنَا أَبْنَاءَنَا، وَاجْعَلْهُمْ قُرَّةَ أَعْيُنِنَا فِيمَا يُرْضِيكَ وَتَرْضَى بِهِ عَنَّا يَا رَبَّ الْعَالَـمِينَ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُواْ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.